تعليق د. إبراهيم السامرائي

عضو مجمع اللغة العربية الأردني

إن بيت زفر بن الحارث رُبَّما له من الضرورة التي تضطر الشاعر وإن كان جاهلياً أو متقدّماً أن تفرض وجودها، فجاء الجنوب غير منسوب من أجل الوزن.

وقد أقول مثل هذا في بيت الشريف المرتضى.

إن الضرورة قد حصلت أو فرضت حكمها في بيت امرئ القيس:

فاليوم أشربْ غير مُستحقبٍ إثماً من الله ولا واغِلِ

لقد جاء الفعل "أشربْ" مجزوماً وليس من جازم، وكأن المبرد قد استبعد أن يكون هذا فجاء برواية تفرَّد وهي: "فاليوم ألهو غير مُستَحقبٍ".

وفات المبرّد أن هذا قد عرض للنابغة في قصيدة "المتجرّدة" الدالية، في قوله:

وبذاك خَبَّرنا الغرابُ الأسودِ

والوجه: الأسودُ.

ومثل هذا ما كان في مطوّلة زهير:

كأحمر عادٍ....

وهو يُريد "أحمر ثمود" وهو قُدار بن سالف عاقر ناقة النبي صالح – عليه السلام–، وقد ذهب زهير إلى "عاد" لأن "عاداً" ترد إلاّ مع ثمود كثيراً كما في لغة التنزيل العزيز.

لقد أشار إلى هذه الضرورة الأصمعي، وهو الخبير بالأمم القديمة. غير أن الذين كانوا يتعقّبون الأصمعي قد ذهبوا إلى عدم وجود الضرورة لأن "عاداً" في بيت زهير هي "عاد الآخرة" أي ثمود.

أقول: لقد أشارت الآية إلى "عاد الأولى" وهم قوم هود، ولم يكن من إشارة في لغة التنزيل إلى "عاد الآخرة". وكأن هذا الذي سعى إلى هذا من جملة الذين كرهوا الأصمعي لمكانته لدى الخلفاء العباسيين، وانحرافه عن العلويين.

أقول: وقد أتى في الضرورة شيء يشبه هذا، فهذا الحطيئة قد كان له "داود بن سلاّم" في عجز بيت وهو يريد النبي داود بن سليمان –عليه السلام– هذا هو حكم القافية.

ولنا في خبر عبدالله بن أبي إسحاق الحضرمي، وهو من أوائل النحويين، مع الفرزدق القصة المشهورة. انظر: "نزهة الألباء" للأنباري (ترجمة الحضرمي).

وأعود إلى المعاصرين عامّة الذين لم يفطنوا إلى أسلوب المتقدمين في كَسْع الجهات الأربع بالياء جهلاً منهم بهذه القاعدة.

ولا أعزو بيت الجواهري الذي جاء فيه الشمال والجنوب من غير نسبة إلى ما يقتضيه الوزن، وذلك لأن الشاعر لا يعرف هذا، وهو إن عرفه فلا يجد فيما قاله ضيراً.

وأما توقّف الباحث فيما كان لي في استعمالي "بلدان الشمالي الإفريقي" فأقول: إن هذا بعيد عن القاعدة التي توصّل إليها، وذلك لأن "الشمال"، وهي الجهة، وقد وُصف بصفةٍ نُسبت وفيها ياء النسب، وهذه النسبة تغني عن نسبة

المضاف، وهو "الشمال". ولو قلنا: "الشماليّ الإفريقي" كما أراد الباحث لكان لنا عبارة ثقيلة، والعربية تهرب من مواطن الثقل.

لقد عرفنا هذا في بعض تراجم الرجال، فهذا أبو الحسن الدار قُطْنيّ من كبار رجال الحديث في القرن الرابع كانت نسبته إلى "دار القُطْن" محلة في الجانب الغربيّ من بغداد والنسبة بالياء إلى المضاف إليه وهو "قُطن" وقد خلا المضاف وهو "دار" من الياء.

أقول في تكملة صاحبي المجتهد الألمعي ما يأتي:

أقول: يضاف الشمال والجنوب إلى الشرق والغرب، ولا سيما في عصرنا في مادة الجغرافية وغيرها، فيقال: الشمال الشرقي والجنوب الشرقي، والشمال الغربي والجنوب الغربيّ.

وليس لنا أن نثقل العبارة فَنَكْسع الشمال والجنوب بالياء؛ لما في ذلك من ثِقَل هرب منه المعربون، الفصحاء الأوائل.

أقول: لم تعرض قاعدة صاحبي إلى هذا الأمر الذي نعرفه في عربيتنا المعاصرة، وليس في شواهده شيء منه.

وأختم هذا التعقيب الموجز وأُحيّي فيه صاحبي المغترب ردَّ الله سبحانه عنا جميعاً هذه الغربة.

"إضافة الجهات الأربع"

تعليق د. جعفر عبابنة

الجامعة الأردنية

فيتناول هذا البحث مسألة نحوية تركيبية هي لحوق ياء النسبة للجهات الأربع: الشرق والغرب والشمال والجنوب، إذا أُضيفت. وهذه المسألة مدروسة في كتب النحاة في باب المفعول فيه (الظرف). فأسماء الجهات المذكورة هي ظروف

إذا لم تلحقها ياء النسبة، وهي نائبة عن الظرف إذا لحقتها ياء النسبة. وهي عندهم صفات حُذِف موصوفُها؛ فإذا قُلْت: جلستُ شرقيّ الدار، فأصله: جلستُ مكاناً شرقياً من الدار، ثم حذف الموصوف، وحُذِفَ حرف الجر من وأضيفت الصفة إلى مَدْخُولِهِ.

والبحث تنقصه القوة التفسيرية؛ فهو لا يُفَسِّر لِمَ تلحقُ الياءُ أسماءَ الجهات (شمال وشرق وغرب وجنوب) عند إضافتها، ولا تلحق أسماء الجهات الأخرى مثل: أمام وتحت وخلف. وفي نظري أن السبب يعود إلى أن أسماء الجهات الأربع تلك ظروف متصرفة، فيأتي منها الوصف بإضافة ياء النسبة إليها، وسائر أسماء الجهات غير متصرفة عموماً لأنها لا تخرج عن الظرفية إلا قليلاً. فمثلاً: خلف وأمام وغير متصرفين عموماً؛ بدليل لزومهما النصب على الظرفية في أكثر المواضع. ويتمثل تصرُّفهما المحدود في مسألتين فقط. الأولى هي دخول حرف الجرّ منْ عليهما. والثانية ورودهما بدَلَيْن في بيت يتيم من الشعر هو:

فَغَدَتْ كلا الفَرْجَيْن تَحْسَبُ أنَّهُ مَوْلَى المَخافَةِ خَلْفُها وأمامُها

وقد ورد في البحث قول صاحبه (في ص٢٣٩): "أما شمال بمعنى اليد اليسرى فلا تلحقها ياء النسب المشدّدة (كذا) عند إضافتها لأنها ليست من الجهات الأربع". والواقع أن شمال هذه هي بكسر الشين لا بفتحها، وليست ممّا هو بصدده، وليس لها صلة بأسماء الجهات الأربع كما أقرّ به هو نفسه.

ولا يخلو هذا البحث من فائدة، على الرغم من أن القاعدة التي يأتي بها قد تكون خطأ، وأن إضافة اسم الجهة المنسوب قد تكون من باب إضافة الصفة على الموصوف، فيكون معنى: "شماليّ العراق" هو الجزء الشمالي من العراق، ومعنى:

"شمال العراق" هو الجهة التي تقع خارج العراق من الشمال. وقد تكون إضافة أسماء الجهات المنسوبة للدلالة على الملاصقة. فإذا قلنا: تقع هذه القرية غربيَّ الموصول، فهي قريبة منها إلى الغرب. وإذا قلنا: غَرْب الموصول، فهي بعيدة عنها إلى الغرب.